

شرح

زاد المستقنع - الطهارة

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

الدرس الأول

النسخة الإلكترونية الثانية

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

أعدّ هٰذه المادّة

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يقول المصنِّف رحمه الله:

[المتن]

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ أفضل المصطَفَيْن محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تعبّد.

أما بعد؛ فهٰذا مختصر في الفقه من مُقنع الإمام الموفَّق أبي محمد علىٰ قول واحد، وهو الرَّاجح في مذهب أحمد، وربما حذفتُ منه مسائل نادرة الوقوع، وزدتُ ما علىٰ مثله يُعتمد؛ إذ الهمم قد قصُرت، والأسباب المثبِّطة عن نيل المراد قد كثرت، وهو بعون الله مع صغر حجمه قد حوىٰ ما يُغني عن التطويل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[الشرح]

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللهمّ إنّا نسألك علما نافعا، وعملا صالحا، وقلبا خاشعا، ودعاءً مسموعا، ربنا انفعنا بما علّمتنا، وزدنا علما وعملا يا أكرم أكرمين.

أما بعد..

فهٰذا الكتاب هو كتاب زاد المستقنع مختصر المقنع، ومؤلّفه هو إمام الحنابلة في وقته -رحمه الله- موسىٰ بن أحمد بن موسىٰ الحجّاوي المتوفَّىٰ سنة (٩٦٨هـ) ثمان وستين وتسعمائة.

وهٰذا الكتاب المختصر -المسمىٰ بزاد المستقنع- بعد أن اختصره مؤلفه من المقنع اعتنىٰ به العلماء أيما عناية، وذلك لعنايتهم بأصله ألا وهو المقنع، فإنّه كتاب عظيم النّفع قد اعتنىٰ به العلماء شرحًا وبيانًا وتحشية وتعليلا لمسائله وتدليلا لأحكامه.

ثم لأنّ مؤلفه بارعٌ في المذهب فقد ألّف كتبا كثيرة من أشهرها كتاب "الإقناع" المعروف المتداول.

ثم أيضا لأنه ذكر فيه الرّاجح عند المتأخرين من الحنابلة في المسائل، ومن المعلوم أن كتاب

"المقنع" وأمثاله من كتب الموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة العُمري -رحمه الله- أنها تمثل مذهب المتوسِّطين من الحنابلة، ويحتاج المتأخرون إلىٰ معرفة ما تحرّر من المذهب مذهب الإمام أحمد -رحمه الله- ومذهب أصحابه.

وقد تحرر المذهب بعد كتابة الإنصاف، الكتاب المشهور "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف علىٰ مذهب الإمام المبجل أحمد ابن حنبل"، وبعد هٰذا الكتاب تبين الراجح في المذهب عند علمائه.

وهٰذا الكتاب اعتنىٰ به العلماء -كما ذكرتُ- وذلك لأمور كثيرة وصفتُ بعضها، ويأتي البيان لك عمليًّا علىٰ حسن اختيار العلماء لهٰذا الكتاب في تدريسه وشرحه وتحشيته والعناية به، فإنّ هٰذا المختصر زاد المستقنع- لاشك أنه من الكتب المهمة التي حوت مسائل كثيرة جدا بعبارة مختصرة ليس فيها غموض وليس فيها عُسر تركيب في الغالب.

قال- رحمه الله تعالىٰ- في خطبة الكتاب: (**بسم الله الرحمٰن الرحيم**) والمتقرّر عند العلماء أنّ الجارّ والمجرور لابد أن يتعلق بفعل أو ما في معناه، فقول القائل: (بسم الله الرحمٰن الرحيم) هٰذا الجار والمجرور الذي هو الباء وما دخلت عليه، لابد أن يتعلّق بفعل أو بما في معنىٰ الفعل من مصدر ونحوه.

فمن أهل العلم من قدر هٰذا المتعلق بابتدائه، كقول القائل في أول أموره: (بسم الله الرحمٰن الرحيم) كأنه قال: ابتدئ أو ابتدائي باسم الله، وهٰذا يعمّ جميع الأحوال؛ يعني سواء كانت ابتداؤه في طعام أو شرابٍ أو علمٍ أو غير ذلك .

وقال بعض أهل العلم: إنّ المقدَّر هاهنا من المتعلّق هٰذا ينبغي أن يقدر بما يناسب حال القائل لهٰذه الكلمة، فإذا قالها المبتدئ في طعامه كان تقدير الكلام: آكل باسم الله. وإذا قالها المبتدئ في شرابه كان تقدير الكلام: أشرب باسم الله. وإذا قالها المبتدئ في الكتابة كان معناها: أكتب باسم الله. وإذا قالها المبتدئ في العلم أو التعلم أو التعليم كان معناها أعلم أو أتعلم باسم الله.

وهٰذا الثاني **أظهر وأحسن وأقوىٰ**؛ وذلك لأنّه يكون تخصيصًا لكل حالة بما يناسبها.

فإذن يكون هنا تقدير الكلام: أكتب باسم الله، أو أعلِّم باسم الله، أو أختصر باسم الله.

و(**بسم الله**) الباء هٰذه باء الاستعانة المشوبة بمعنىٰ التوسّل، فكأنه قال: أكتبُ مستعينًا أو متوسِّلا

بكل اسم لله -جل وعلا-، فقوله هنا: (بسم الله) بدون تحديد اسم معيّن (بسم الله)، هٰذا ليعم جميع الأسماء، وهٰذا منه اقتداءً بفاتحة القرآن، فإنّ القرآن ابتدئ بالبسملة ثم بالحمدلة، ولهذا اقتدىٰ العلماء في كتبهم بأشرف كتابٍ وأعظم كتاب ألا وهو القرآن، كلام الله -جلّ وعلا- العزيز بدئهم كتبهم بالبسملة ثم بالحمدلة.

وقد روي في البداءة بالبسملة أحاديث لكنّها ضعيفة جدا، وكذلك بالبداءة بالحمدلة ولكن أسانيدها فيها ضعف؛ لكن ما ورد في البداءة بالحمدلة كقوله - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- فيما رواه أبو داوود وغيره قال: «**أيّ كلام لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم**»[1] يعني فهو ناقص البركة، هٰذا أقوىٰ من الذي قبله؛ ولكن أسانيدها فيها ضعيف.

المقصود أن العمدة في هٰذا أنه اقتداء واحتداء بأعظم كتاب وهو كتاب الله جل وعلا.

والبسملة بقول: (بسم الله الرحمٰن الرحيم) أول من استعملها علىٰ هٰذا النحو التام سليمان -عليه السلام- في كتبه، كان النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل أن ينزل عليه الآيات من سورة النمل التي فيها: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠)﴾[النمل:٣٠]، يكتب إذا أمر بالكتابة: باسمك اللهم. ثم لما نزلت هٰذه كتب ذلك (بسم الله الرحمٰن الرحيم) هكذا قال بعض أهل العلم.

(بسم الله) يعني: أكتب مستعينًا بكل اسمٍ لله -جل وعلا-؛ لأنّ الاسم هاهنا لم يحد، ما قال: بالرحمٰن ولا بالعليم لا بالسميع ولا بالبصير، وإنما قال: باسم الله. ولما ذكر الاسم مبهما دون تعيين دخل فيه وصلح له كل اسم، فكأنه استعان بكل أسماء الله -جل وعلا-، أو توسّل بكل أسماء الله -جل وعلا-، ولا شك أن المؤمن يرىٰ ظهور أسماء الله -جل وعلا- في خلقه، ويرىٰ آثار تلك الأسماء في خلقه، فالمتوسل إلىٰ الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وبكل اسم له لاشك أنه متوسِّل بأعظم ما

[1] **سنن أبي داوود**: كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، حديث رقم (٤٨٤٠)، قال الشيخ الألباني: ضعيف. وانظر تخريج طرقه في الإرواء الحديث رقم (٠٢).

يُتوسل به من الأسماء، وأسماء الله -جل وعلا- داخلة في قوله: (بسم الله) لا تحد بحد لا تحد بالأسماء الحسنىٰ المخصوصة في حديث «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة»[1] ولا تحد بغير ذلك، وإنما بكل اسم لله -جل وعلا-، وهٰذا في مثل قوله جل وعلا: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ (١)﴾[الأعلىٰ:١٠]، فإنّه تنزيه لأسماء الله -جل وعلا- جميعا عن النقص وعن العيب، وإثبات جميع الكمالات لها علىٰ وجه الكمال.

(بسم الله) لمّا ابتدأ بذلك قال: (الرّحمٰن الرّحيم)، و(الرّحمٰن) و(الرّحيم) من أسماء الله -جل وعلا- الحُسنىٰ المتضمِّنان صفة الرحمة لله -جل وعلا- التي وسعت كل شيء، ففي نعت الله بهذين الاسمين نعت في هٰذا المقام تعريض للنفس بالدخول في رحمة الله -جل وعلا- التي وسعت كل شيء، ومن المتقرّر أن العلم مبناه علىٰ الرّحمة وعلىٰ التراحم، فإنّ العلم الشرعي رحمة الله -جل وعلا- الخاصة يؤتيها من يشاء من عباده.

فالابتداء بـ(بسم الله الرحمٰن الرحيم) مناسب تمام المناسبة لكتب العلم لما ذكرتُ لك من الأمور المختلفة.

قال بعدها: (الحمد لله حمداً لا ينفد)، (الحمد) مركب من كلمتين الكلمة الأولىٰ (أل) والثانية (حمد)، قال العلماء: إن (أل) في قوله: (الحمد) هٰذه تفيد استغراق الأجناس، يعني استغراق أجناس (الحمد)، فالقائل: الحمد لله. يستغرق بكلامه ويثني علىٰ الله -جل وعلا- بجميع أجناس المحامد التي يُثنىٰ بها علىٰ الله -جلّ وعلا- وسيأتي بيانها.

قال هنا: (الحمد لله)، الكلمة الثانية (حمد)، والحمد أصله الثناء علىٰ المثنيّ عليه بما له من الصفات، سواء كان ذلك الحمد علىٰ أثر إحسان، أو لم يكن علىٰ أثر إحسان، بخلاف الشّكر فإنه يكون عن إحسان، فقول القائل: الحمد لله؛ يعني: كلّ ثناءٍ بأنواع أوصاف الكمال، وأنواع الثّناءات، هٰذا لله جل

---

[1] **البخاري**: كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحد، حديث رقم (٧٣٩٢).
مسلم: كتاب الذكر، باب في أسماء الله تَعَالَىٰ وفضل من أحصاها، حديث رقم (٢٦٧٧).

وعلا.

وإذا تقرر ذلك فإن موارد الحمد التي يثنىٰ بها علىٰ الله -جل وعلا- عظيمة كثيرة جِمَاعُها في خمسة مواد:

المورد الأول: أنه يُحمد -جل وعلا- علىٰ تفرُّده في الربوبية؛ إذْ لا ربَّ معه يملك هٰذا الملكوت ويدبِّره ويصرِّفه، فيُثنىٰ علىٰ الله -جل وعلا- بتفرده بالربوبية، ويثنىٰ عليه -جل وعلا- بآثار تلك الربوبية في خلقه.

وإذا تأمّل الْمُثني علىٰ الله -جل وعلا- ذلك وجد أنه أثنىٰ علىٰ الله -جل وعلا- بكل آثار ربوبيته في خلقه، التي منها خلْقهم، منها رزقهم، منها إحياؤهم، منها إماتتهم، منها تدبيره الأمر، منها تصريفه للأرزاق، منها ما يحدث في ملكوت السّماء وفي ملكوت الأرض من أنواع ما يقدِّره الله -جل وعلا-؛ فهو المحمود علىٰ كل حال، وهٰذا الحمد قد استغرق الزّمان كله؛ بل حمْده -جلّ وعلا- كائن قبل أن يكون مخلوق، فهو -جلّ وعلا- المستحقّ للحمد قبل أن يوجد حامد، ولذلك لعظم أوصافه -جلّ وعلا- والتي هٰذا المورد منها ألا وهو تفرُّده -جل وعلا- في ربوبيته.

المورد الثاني: أنه -جل وعلا- محمود علىٰ تفرّده في ألوهيته، فهو -جل وعلا- الإلٰه الحق المبين، لا إلٰه يعبد بحق إلا هو -سبحانه-، هو الإلٰه الحق في السماء، وهو الإلٰه الحق في الأرض، وكل إلٰه عُبد في الأرض فإنّما عبد بغير حق عبد بالبغي والظلم والعدوان، ومن يستحقّ العبادة الحقة وحده دونما سواه هو الله جل وعلا، فيُثنىٰ عليه -جل وعلا- بهٰذا الأمر العظيم، وهو توحّده -جل وعلا- في إلهيته.

المورد الثالث: كذلك من مورد الحمد أنه يحمد علىٰ ما له من الأسماء والصفات التي هي له -جل وعلا- علىٰ وجه الكمال، له الأسماء الحسنىٰ وله الصِّفات العلىٰ، فهو -سبحانه- له الأسماء التي لا يماثله في معانيها ولا في ما اشتملت عليه من الصفات أحد، وله -جلّ وعلا- من الصفات ما لا يشاركه فيها علىٰ وجه التمام والكمال أحد، فهو -جل وعلا- ذو الأسماء الحسنىٰ وذو الصفات العلىٰ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾[مريم:٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾[الإخلاص:٠٤]، فليس له -جل وعلا- سميّ وليس له عِدل، وليس له مثيل في نعوت جلاله وكماله وجماله، فهو -جل علا- يحمد-

يعني: يثنىٰ عليه- بما له من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وكذلك يثنىٰ عليه بك اسم علىٰ حدة، ويثنىٰ عليه بكل صفة له علىٰ حدة، وهٰذا مما تنقضي الأعمار فيه لو تأمله الحامدون.

المورد الرابع: كذلك من موارد الحمد أنه -جل وعلا- يحمد علىٰ شرعه وأمْره ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾[الأعراف:٥٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[الكهف:٠١]، يحمد علىٰ شرعه وعلىٰ أمره؛ يعني يحمد علىٰ دين الإسلام الذي جعله دينا للناس وعلىٰ هٰذه الشريعة شريعة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيُثنىٰ عليه -جل وعلا- بإنزاله الكتاب كما أثنىٰ علىٰ نفسه بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا (١)﴾[الكهف:٠١]، يثنىٰ عليه -جل وعلا- بما أمر به في كتابه من الأوامر، وبما نهىٰ عنه من النّواهي؛ إذ أوامره -جل وعلا- ونواهيه في كتابه وفي سنة رسوله؛ أي في شريعته جل وعلا، في شريعة الإسلام، في شريعة محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كلّ أمر يستحق -جل وعلا- أن يحمد عليه، وهٰذا لاشكّ مما يفتح علىٰ قلوب أهل الإيمان أنواعًا من المعارف وأنواعا من محبة هٰذا الدين ومحبة الشريعة ومحبة الأحكام. فأهل العلم يحمدون الله -جل وعلا- علىٰ كل حكم تعلّموه، وعلىٰ كل حكم علموه، وعلىٰ كل مسألة من مسائل العلم فهموها، فأهل العلم هم أحق الناس بحمد الله جل وعلا، فهم أحق الناس بالثناء علىٰ الله جل وعلا؛ لأنهم يعلمون عن الله -جل وعلا- ما لا يعلمه غيرهم من الجهلة، أو من العوام أو من غير المتعلِّمين.

المورد الخامس: كذلك من موارد الحمد وهو المورد الخامس والأخير الذي يناسب هٰذا الاختصار، أنّه -جل وعلا- محمود علىٰ خلقه وقدره، فهو -جل وعلا- له تصريف هٰذا الملك، وله في كل شيء قدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾[القمر:٤٩]، وله أوامر كونية في ملكوته: منها الإنعام علىٰ من شاء أن يُنعم عليهم، ومنها المصائب علىٰ ما شاء أن يبتليهم، وهكذا فهو -جلّ وعلا- محمودٌ علىٰ خلقه وقدره، كل أنواع تقديره -جل وعلا- يستحق أن يثنىٰ عليه بها.

وهٰذا النوع منه -أي بعضه- ما يستحضره الناس حينما يقولون: الحمد لله؛ يعني علىٰ ما أوْلاهم به من نعمة، فيحمدون الله -جل وعلا-؛ يعني يثنون عليه بما أفاض عليهم من النِّعم. وهٰذا ولا شك نوع

من أحد موارد الحمد.

وأما أهل العلم المتبصرون بما يستحقه -جل وعلا- من الأسماء والصفات وما له -جل وعلا- من النعوت والكمالات، فإنهم يستحضرون من معاني أكثر من ذلك الذي يستحضره أكثر الخلق من أنّ الحمد لا يكون إلا علىٰ ما أعطوا من النعم.

ولهذا النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يحمد الله -جل وعلا- في السراء والضراء، يحمده -جل وعلا- إذا أتته نعمة، وإذا جاء شيء لا يسره حمد الله -جل وعلا-، يثني علىٰ الله -جل وعلا- باستحقاقه الرّبوبية علىٰ خلقه؛ يثني علىٰ الله -جل وعلا- باستحقاقه الإلهية علىٰ خلقه، باستحقاقه العبادة من خلقه وحده دونما سواه؛ يثني علىٰ الله -جل وعلا- بأنواع من الثناء.

ومن المهمات أن يستحضر الحامد لله -جل وعلا- هٰذه الموارد، وإن لم يمكنه ذلك لضيق عنده فإنه يستحضر شيئا فشيئا حتىٰ يعوّد قلبه علىٰ الثناء علىٰ الله -جل وعلا- بجميع أنواع الثناء عليه -سبحانه- التي يستحقها.

قال بعد ذلك: (الحمد لله) يعني كل أنواع الثناء لله، فكلّ ثناء هو لله، ما معنىٰ اللام في قوله: (لله)؟ هٰذه اللام هي لام الاستحقاق، وضابطها أنها تأتي بعد المعاني دون الأعيان، (الحمد لله) يعني مستحق لله جل وعلا، و(الله) علم علىٰ المعبود بحق، فلا يسمىٰ (الله) إلا من يستحق العبادة وحده دونما سواه، المَوْصوف بأوصاف الكمال، أمّا غيره -جل وعلا- ممن عبد أو مما عبد من الآلهة التي عُبدت بالباطل وبالبغي وبالظلم والعدوان فإنّه يطلق عليها البشر (إلٰه) يعني: معبود، أما اسم (الله)، فإنه علم علىٰ المعبود بحق، أما المعبودات بالباطل والظلم والطغيان فإنه لم يدَّعِ أحد أنه يسميها (الله)، ولهذا قال المشركون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[ص:٥٠]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾؛ ﴿لا إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ﴾ يعني لا أحد يستحق العبادة حقا، إلا الله -جل وعلا- لأنه اتخذوا آلهة من دون الله -جلّ وعلا- ومعه.

إذن فمعنىٰ (الحمد لله): يعني أنواع المحامد المستحقة للمعبود بحق - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

ثم أكّد ذلك بقوله: (حمدًا لا ينفد) يعني حمدًا لا ينقطع، لا ينتهي، وذلك علىٰ جهتين:

الأولىٰ منه أنه حمْد من هٰذا الحامد -الذي هو المؤلف- لا ينقطع مع الزّمان، وإنما مدة حمده مدة عمر هٰذا الحامد، (حمدا لا ينفد) لا ينقطع مع القواطع والأشغال، إنما هو يثني علىٰ الله -جل وعلا- بالحمد الذي لا ينقطع. هٰذا من جهة.

جهة أخرىٰ فإنه -جل وعلا- الحمد له من دون نظر إلىٰ الحامد المعيّن، الحمد مستحق له -جل وعلا- حمْدا لا ينقطع ولا ينفد ولا يزول، وهٰذا مأخوذ من قوله جل وعلا: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾[القصص:٧٠]، فهو -جلّ وعلا- المستحقّ للحمد، واستحقاقه للحمد أوّل وهو -جل وعلا- لم يزل مستحقا للحمد، ولا يزال مستحقا للحمد، فاستحقاقه -جل وعلا- بأنواع المحامد لا ينقطع بذهاب الخلق؛ بل استحقاقه للحمد في الأولىٰ والآخرة، (حمدًا لا ينفد) لا ينقطع ولا يقلّ ولا يزول سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

ثم وصف ذلك الحمد بقوله: (أفضل ما ينبغي أن يُحمد) فإن الحمد درجات، وهو حمده قال: (أفضل ما ينبغي أن يحمد) يعني أعلىٰ درجات وأفضل درجات الحمد، وقوله هنا: (ما ينبغي أن يُحمد) يعني أفضل ما ينبغي حمده، (أن يحمد) تقدر بمصدر؛ أفضل ما ينبغي حمده.

و(ما ينبغي) هٰذه لها استعمالات:

منها استعمال عند الفقهاء عند عرضهم للأحكام فإنهم إذا قالوا: (ينبغي) يعنون به: يُستحب، فقولهم مثلا في باب الزكاة: وينبغي للإمام أن يبعث خارصا يخرص علىٰ النّاس نخيلهم وكرومهم، أو ما شابه ذلك، قولهم: (ينبغي للإمام) يعني: يستحب للإمام.

وإذا قال الفقهاء: (ما ينبغي) فإنهم يعنون به المكروه، وهٰذا اصطلاح خاصّ لهم، ليس هو علىٰ مقتضىٰ اللغة، وإنّما هو اصطلاح خاصّ للفقهاء.

وأما الذي جاء في القرآن فإن كلمة (ما ينبغي) بالنفي؛ (ما) النافية (ما ينبغي) معناها أشدّ المستحيل؛ يعني الذي لا يكون، الذي يستحيل أن يكون، الذي لا يمكن أن يكون، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)﴾[مريم:٩٢]، ﴿مَا يَنبَغِي﴾ يعني يستحيل ذلك، لا يمكن أن يكون ذلك؛ ذلك لما لله -جل وعلا- من كمالات - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

و(ينبغي) تطلق أيضا لأشد الواجب.

أما ههنا (ما) ليست هي النافية، إنما هي الموصولة فقوله: (أفضل ما ينبغي أن يحمد) يريد: أفضل الذي ينبغي حمده. أو أن تكون موصولا يُقدّر ما بعدها بمصدر فقوله: (أفضل ما ينبغي أن يحمد) يعني أفضل الذي ينبغي أن يحمد به. و(ينبغي) تكون هنا بمعنىٰ يُطلب أو يراد؛ أفضل ما يراد، أفضل الذي يراد من الابتغاء وهو الطلب.

قال: (وصلّىٰ الله وسلّم)، عطف (صلّىٰ الله) علىٰ (الحمد)، و (الحمد لله) جملة اسمية، و(صلىٰ الله) جملة فعلية.

ومن المتقرّر عند علماء العربية أن الأحسن أن يُعطف جملة اسمية علىٰ الاسمية، والفعلية علىٰ الفعلية كي يكون ثم تناسق للمعنىٰ البلاغي بينهما؛ ولكن هاهنا وإن كان ثم اعتراض لبعض العلماء علىٰ هٰذا الاستعمال؛ لكنّه مناسب، وذلك لأنّ الجملة الاسمية في الأول لها فائدة، والجملة الفعلية في الصلاة لها فائدة.

فالأولىٰ فائدتها الثبوت والدوام والاستقرار.

والثانية الجملة الفعلية تفيد التجدّد والحدوث.

(الحمد) ثابت مستقر دائم لله جل وعلا، وأما الصلاة علىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهي مطلوبة من العبد ليست ثناء ووصفا، إنّما هي امتثال لله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾[الأحزاب:٥٦]، يعني مطلوب من العبد أن يقول: اللهم صلّ علىٰ محمد. أو: صلّىٰ الله وسلم علىٰ محمد. الجملة الفعلية تفيد التجدد والحدوث، وهو مناسب لهٰذا المقام.

(وصلىٰ الله وسلم علىٰ أفضل المصطَفَيْن محمد) هٰذا امتثال لقول الله -جل وعلا-: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، والعلماء قد اختلفوا في هٰذا الأمر وهو قوله جل وعلا: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هل هو للوجوب أم فيه تفصيل؟

فقال طائفة لأهل العلم من الحنفية كالطحاوي ومن الشافعية والمالكية إنه يجب الصلاة علىٰ النبي كلما ذُكر، واستدلوا لهذا بأدلة، منها أنه مقتضىٰ الأمر في الآية، ومنها ما جاء في الحديث الصحيح أن

النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «رغم أنف امرئ ذكرت عنه ولم يصلِّ عليّ»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأقرب أنه تجب الصلاة علىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الدعاء، وذلك لأنّه قد ثبت عن عمر وعلي وعن غيرهما أنهما قالا: **الدعاء موقوف بين السماء حتىٰ يُصلّىٰ علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. وعلىٰ هٰذا القول، وهو أنّه يجب في الدعاء، فمحلّه قبل الدّعاء؛ أي بعد حمد الله والثّناء عليه، تأتي الصلاة علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبل الدعاء، وذلك لأنّ تقديمه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- علىٰ النفس واجب؛ ولأنّ تقديم حقه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- علىٰ مرادات النفس واجب، فمحلّه قبل الدعاء، وإذا خُتم به الدعاء فذلك من باب الكمال، لكن محل الوجوب هو قبل الدعاء، فإن فات أن يكون قبل الدعاء يختم به الدعاء، وهٰذا سائغ، وأفضلية، يعني لو تركه قبل الدعاء يأتي به آخر الدعاء؛ لكنه ترك الأفضل، والأكمل وأن يجمع بينهما.

والقول الثالث لأهل العلم أنّ الصلاة علىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تجب في العمر مرة، وهٰذا القول أقعد للأصول، وذلك أنّ الله -جل وعلا- أمر بالصلاة علىٰ نبيه بدون قيد، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾[الأحزاب:٥٦]، وأمر بالصلاة عليه فيبرأ المأموم من العهدة إذا صلىٰ عليه مرة؛ يعني صلىٰ عليه خارج الصلاة؛ الصلاة التي هي العبادة المعروفة، أما في الصلاة فذاك وجوب جاء من دليل آخر. وهٰذا القول أنسب وأقعد في الأصول -أصول الفقه-؛ لأنّ الأمر عندهم يقتضي التّكرار، إذا قرن به قرينة أو كان معلقا بشيء يتكرر فيتكرر بتكرره، أما إذا لم يعلق بالدليل الذي دل علىٰ الوجوب بشيء يتكرر فإنه يبرأ من العهدة بمرة واحدة، مثل ما أمر الله -جل وعلا- بالحج في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[آل عمران:٩٧]، فلم يقيده بقيد فيبرأ بالحج مرّة.

المقصود أنّ هٰذا ذكره العلماء علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

---

[1] **سنن الترمذي**: كتاب الدعوات، باب قول رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «رغم أنف رجل» حديث رقم (٣٥٤٥)، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

إذا تقرر ذلك، فما معنىٰ الصلاة علىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أو الصلاة مطلقا؟

قال كثير من أهل اللغة؛ بل جمهور أهل اللغة: إن الصلاة في اللغة هي الدعاء. قال جل وعلا: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة:١٠٣]، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي أدع لهم، وكان النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا أتاه قوم بزكاة مال أو بصدقة أموال دعا لهم.

ويؤيد أن الصلاة بمعنىٰ الدعاء قول الأعشىٰ في شعره المشهور:

تقول بنتي وقد قرَّبْتُ مرتحلا يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليتِ فاغتمضي نوما فإنّ لجنب المرء مضطجعا

قالت: (يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا) فقال هو: (عليك مثل الذي صليتِ فاغتمضي)

وهو دعاء، وأطلق الأعشىٰ -وهو عربي- علىٰ دعائها الصلاة، وهٰذا المشهور عند أهل العلم؛ لكن ليس معنىٰ الصلاة الدعاء بالمطابقة؛ ولكن نقول: الصلاة فيها معنىٰ الدّعاء، إذا كان مناسبًا أن يكون دعاء يعطىٰ معنىٰ الدعاء، وإذا لم يكن ذلك مناسبا أعطي المعنىٰ الذي يناسب.

ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- أطال البحث في هٰذا في كتابه "جلاء الأفهام"، وأنكر أن تكون الصلاة بمعنىٰ الدُّعاء، في بحث طويل ماتع، ترجعون إليه، وأيد ذلك بأدلة كثيرة، مثلا قال: إنّ الصلاة لا تكون إلا بالخير في اللغة، وأما الدعاء فيكون الخير والشر.

قال أيضا: إن (دعا) إذا عُدي بـ(علىٰ) لا يكون معناه (صلىٰ) إذا عدي بـ (علىٰ)، قال: دعا علىٰ فلان. ليس معناه: صلىٰ علىٰ فلان. وهكذا في اعتراضات موفّقة من ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- وقال: إن الصلاة في اللغة معناها الثناء.

علىٰ كل المعروف عند السلف أن الصلاة من الله -جل وعلا- هي الثناء، وذلك لأنّ الله -جل وعلا- يثني علىٰ عباده، فيكون الذي يقول: (صلىٰ الله) يطلب من الله -جل وعلا- أن يصلي علىٰ محمد بن عبد الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فتكون الصّلاة من الله -جل وعلا- بمعنىٰ الثناء، وهٰذا هو الذي قاله أبو العالية فيما ساقه البخاري في صحيحه وجماعة من أنّ الصلاة من الله -عز وجل- الثّناء.

وكذلك من الملائكة: الثناء والاستغفار.

فالله -جل وعلا- يصلي علىٰ نبينا محمد في الملإ الأعلىٰ، بمعنىٰ: يثني عليه في الملإ الأعلىٰ، يصلي الله -جل وعلا- علىٰ المؤمنين في الملأ الأعلىٰ؛ بمعنىٰ: يثني علىٰ المؤمنين الموحدين في الملإ الأعلىٰ.

كذلك الملائكة يثنون علىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو علىٰ المؤمنين في الملإ الأعلىٰ، ومع الثناء أيضا صلاتهم بمعنىٰ الاستغفار.

فتقرّر أنّ العبد حين يقول: اللهم صلِّ علىٰ محمد، صلىٰ الله علىٰ محمد. معناه: اللهم اثن علىٰ محمد في الملإ الأعلىٰ، (صلىٰ الله علىٰ محمد) معناه: أثنىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وذلك بما نالنا من النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أنواع البركات العلمية الدِّينية التي حاز بها أهل الإيمان علىٰ المقامات العالية عند الله -جل وعلا- الفضل لله -جل وعلا- ثم لنبيِّنا محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مقدّم علىٰ أنفسنا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وعلىٰ أبنائنا وأمهاتنا ووالدينا عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ السَّلام.

ثم قال: (وسلَّم) يعني طلب السّلامة له -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، وذلك امتثال لقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾[الأحزاب:٥٦]، ويحصل الامتثال للأمر بقول القائل: صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو: صلّىٰ الله وسلم عليه. والمطابقة -مطابقة الامتثال للآية- أن يقول: صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنّ الله -جلّ وعلا- قال: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فيقول المؤمن: صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو: وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد.

قال: (علىٰ أفضل المُصْطَفَيْن محمد)، (المصطفين) جمع المصطفىٰ، والمصطفىٰ هو المختار، وأصله من أخذ الصفوة، قال جل وعلا: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا (٤٠)﴾[الإسراء:٤٠]، ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ يعني أفجعل لكم الله -جل وعلا- الصّفوة التي تريدونها وهي البنون دون البنات ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا﴾، والمصطفون وأعلاهم مقاما وأعظمهم درجة الأنبياء والمرسلون وهٰذا هو الراجح في تفسير قوله جل وعلا: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)﴾[النمل:٥٩]، فإنهم اختلفوا في معنىٰ قوله: ﴿وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ من هم؟

فقال كثيرون: هم صحابة محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقال آخرون: هم الأنبياء والرسل.

وقال آخرون: هم المرسلون والأنبياء وأتباع الأنبياء والمرسلين؛ يعني هم أهل التوحيد؛ فهم الذين اصطفاهم الله -جل وعلا- واختارهم بما منّ عليهم من الهداية.

فهو -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أفضل الأنبياء وأفضل المرسلين، هو أفضل المصطفين، فهو أفضل أهل التوحيد -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، أفضل أهل التوحيد هو النبي محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، هو أعلاهم مقاما في الدنيا، وهو أرفعهم منزلة في الآخرة عند ربه -جل وعلا-.

قال بعدها: (**وعلىٰ آله وأصحابه ومن تعبد**) الآل الصحيح أنهم: آل بيته الخاصّين؛ آل بيت النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الخاصّين، وأفضلهم أهل الكساء الذين أدار عليهم النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الكساء.

وقال طائفة من المحققين من أهل العلم: إنّ آل النبي هم أتباعه، آل كل نبي أتباعه، مستدلين بذلك قول الله -جل وعلا-: ﴿**وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ**﴾[البقرة:٢٤٨]، يعني ما ترك موسىٰ وهارون. فالآل هم الأتباع علىٰ الدِّين؛ ولكن هاهنا (**علىٰ وآله وأصحابه**) الآل هو آل بيت النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بخصوصه، وعطف عليهم الأصحاب، وهٰذا العطف -عطف الأصحاب علىٰ الآل- شعار لأهل السنة، ومن شعار الشيعة أو الرافضة أنهم يصلون علىٰ الآل دون الصحب؛ لأنهم يتولّون الآل دون الصحب، وأمّا أهل السنة فإنهم يصلون علىٰ الآل والصحب معا، إما دائما أو كثيرا.

وراعىٰ طائفة من أهل العلم أنه عند الصلاة علىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يضاف (الآل) ويقال: (صلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم) وذلك من أجل ما جاء في الحديث: قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد..**»[1] ولكن الذي ذكره المؤلف عليه عامة العلماء من أهل السنة.

الأصحاب جمع صاحب، وهو من لقي النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مؤمنا به ولو ساعة ومات

[1] مسلم: كتاب الصلاة باب الصلاة علىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد التشهد، حديث رقم (٤٠٥).

علىٰ الإيمان. هٰذا هو التعريف الراجح للصحابي.

ثم قال بعدها: (ومن تعبّد) يعني قد تعبد لله -جل وعلا- موحدا له متعبًا سنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال بعد ذلك: (أما بعد؛ فهٰذا مختصر في الفقه)، (أما بعد، فهٰذا) يشير إلىٰ الكتاب، إمّا بناءً علىٰ أنه في ذهنه إذا كانت المقدمة تكتب قبل الكتاب، وإمّا مشيرًا إلىٰ ما هو أمامه إذا كانت المقدمة تكتب بعد الكتاب.

(هٰذا) إشارة إلىٰ ما في الذهن أو ما في الواقع بحسب الحال، (فهٰذا مختصر في الفقه)، المختصر التي تقلّ ألفاظه وتكثر معانيه، وذلك كما جاء في الحديث أنّ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «أختصر لي الكلام اختصارا»[1] معناه أنه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أوتي جوامع الكلم، الكلمات القليلة المعاني كثيرة، فقوله: (مختصر في الفقه) يعني قليل الألفاظ؛ لكنه كثير المعاني.

(الفقه) المقصود بالفقه هنا الفهم في اللغة، أو المراد به -وهو الأظهر والأنسب- الفقه الاصطلاحي وهو علم الفقه، وهو استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

(مختصر في الفقه) يعني في الأحكام الشرعية، اختصره من أي شيء؟ قال: (من مقنع الإمام الموفق أبي محمد) الموفق ابن قدامة هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة العُمري، جده عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- وأسرة آل قدامة أسرة عظيمة في الشام كانوا في فلسطين ثم انتقلوا إلىٰ دمشق، وعظم الانتفاع بهم وبمؤلفاتهم وبمصنفاتهم، والموفق أبو محمد له في المذهب قدم راسخة؛ بل هو شيخ المتوسطين من الحنابلة، شيخ الطبقة المتوسطة، فإذا قيل: قال الشيخ عند المتوسطين من الحنابلة فإنما يريدون به الموفق ابن قدامة رحمه الله، وإذا قيل: اختاره الشيخان يعنون به المجد جد شيخ الإسلام والموفق ابن قدامة عليهما رحمة الله وغفرانه.

الموفق له عدّة كتب في المذهب منها للمبتدئين كتاب العمدة في الفقه، وهو المشهور بعمدة الفقه

[1] ضعيف الجامع، حديث رقم (٩٤٩).

الذي عليه شرح العدة شرح العمدة لبهاء الدين، (عمدة الأحكام في الحديث) الذي بالأمس أخذنا بعض الكلام عليه، وأما عمدة الفقه وهو المشهور بعمدة الفقه هٰذا كالمرحلة الابتدائية لطالب علم الفقه.

ثم أوسع منه "المقنع" الذي هذا الكتاب اختصار له، العمدة لا يعتني فيه بذكر الأدلة في كل مسألة فإنما يذكر في كل باب غالبا يذكر دليلاً، إذْ كان جامعا، أو إن كان مناسبا لما أورده، وأمّا المقنع فإنه أوسع منه مسائل، العمدة لا يذكر فيها روايات أمّا المقنع فإنه ربما ذكر في بعض المسائل روايتين في المذهب.

أكبر منه كتاب "الكافي"، أوسع من المُقنع، يذكر فيه المذهب برواياته المشهورة، ويذكر الأدلة للمذهب.

وأوسع منه وهو للمنتهي كتاب "المغني" المشهور، فإنه يذكر المذهب ويذكر تقريره، وأدلته، ويذكر من وافق الأصحاب في هٰذه، ومذاهب السّالفين من الصحابة والتابعين، ويذكر الأقوال المخالفة من العلماء المتْبوعين أو من غيرهم، يذكر الأقوال الأخر ويذكر أدلتها ويرجح.

فهي درجات؛ العمدة للمبتدئين، والمقنع للمتوسطين، والكافي للطبقة التي هي أعلىٰ من المتوسطين، والمغنىٰ للمنتهين.

المقنع هٰذا له ميزات كثيرة ستظهر في هٰذا المختصر -إن شاء الله- في المسائل المهمّة ومن حسن التعبير عنها، وهو أسهل من المختصر في عبارته، أسهل من الزاد في عبارته وعليه شروح كثيرة جدّا، وعليه حواشٍ، وقد خُدم بأنواع من الخدمة.

قال: (علىٰ قول واحد، وهو الراجح في مذهب أحمد) يعني لم يذكر الأقوال في المذهب، ولا الأقوال في غير المذهب، فإنه اختار قولاً واحدا جعله عمدة لهذا الكتاب المختصر، وهٰذا القول هو الراجح في مذهب أحمد؛ (الرّاجح في مذهب أحمد) يعني عند المتأخرين، وأصحاب أحمد طبقات:

طبقة المتقدمين: وهم من أصحاب أحمد إلىٰ ابن عقيل.

طبقة المتوسطين: من بعد ابن عقيل إلىٰ تأليف الإنصاف، يعني في أواخر القرن الثامن أو ما بعده.

طبقة المتأخرين: ومن الإنصاف إلىٰ وقتنا هٰذا يقال لهم: طبقة المتأخرين من الحنابلة.

ولكل طبقة ميزات وخصائص في عرضها للفقه واستدلالاتها ونحو ذلك.

قال: (وهو الراجح) الراجح عند المتأخرين، ترجيح المتأخرين يكون معتمدا علىٰ ما رجحه المرداوي صاحب كتاب الإنصاف علي بن سليمان المرداوي فإنه ذكر الرّاجح من الخلاف في المذهب، واسم كتابه يُغني عن تفصيل الكلام فإنه سماه: "الإنصاف في معرفة الرّاجح من الخلاف علىٰ مذهب المبجل أحمد بن حنبل" وتبعه العلماء علىٰ ذكر هٰذا الراجح، وهٰذا الراجح عندهم.

ومن المعلوم أن الترجيح كما ذكر الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالىٰ– في قواعده الأربع أن من قواعد الإسلام العظيمة أنّ الأحكام فيها حلال بين وفيها حرام بين وفيها مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، وقال: فمن رام في كل مسألة قولا يقطع النزاع ويلغي الخلاف، فإنه معارض للحديث؛ لأنه بينهما أمور مشتبهات لا يعملهن كثير من الناس؛ لابد أن يكون ثم خلاف، فلو رجّح أحد العلماء قولا تجد مثله من العلماء في رساخته في العلم يرجح قولا آخر، وهكذا.

فإن هٰذا القول الراجح الذي رجحه هٰذا العالم بناءً علىٰ ترجيحه، ما رجحه الحنابلة –رحمهم الله– بناء اجتهادهم وترجيحهم، وهو يثنىٰ عليهم بتلك الترجيحات؛ لكن قد لا يسلّم لهم أن كل ما رجّحوه راجحا في نفس الأمر، وذلك لأن عمدة التّرجيح الدليل، فإذا كان الدّليل ظاهرا والاستدلال ظاهرا لأحد القولين أرجح، أو لأحد الأقوال كان أحقّ بالترجيح.

أُعترض علىٰ قوله: (وهو الرَّاجح في مذهب أحمد) لأنه ذكر مسائل ليست هي الرّاجحة حتىٰ عند المتأخرين جمعها بعضهم وأوصلها إلىٰ نحو ثلاثين مسألة.

ونقف عند هٰذه الكلمة عند قوله: (وربما حذفتُ منه مسائل نادرة الوقوع) إلىٰ الدّرس القادم إن شاء الله تعالىٰ.

أسأل الله أن ينفعني وإياكم بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.